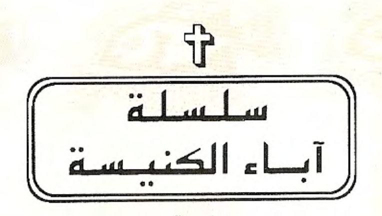


القديس هيلارى



IHΣΟΥΣ ΧΡΙΣΤΟΣ ΘΗΟΥ ΥΙΟΣ ΣΩΤΗΡ

(أسقف بواتييه)

أثناسيوس الغرب

✝

علم الباترولوچى
سلسلة آباء الكنيسة

القديس هيلارى

(اسقف بواتييه)

ST. HILARY OF POITIERS

ترجمة واعداد

انطون فهمى چورج

الكتـــــاب : القديس هيلارى
ترجمة وإعداد : أنطون فهمى چورچ .
النـــاشـــر : كنيسة مارمرقس والبابا بطرس ـ الاسكندرية .
جمع تصويرى : كــويـــن سنــتــر ـ الأزاريطة ـ الاسكندرية .
الـطـبـعـــة : الاولى ـ ١٩٩٢ .
المطـبـعـــة : الأنبا رويس (الاوفست) ـ العباسية ـ القاهرة .
رقــم الايــداع : ٩٢/٥٢٩٨

يُطلب من : مركز القديسين للتوزيع ـ سيدى بشر ـ الاسكندرية .
مكتبة الرجاء ١٨٦ شارع النزهة ـ سانت فاتيما ـ القاهرة .



قداسة البابا شنوده الثالث
بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

مقدمة ومدخل

كنيستنا كنيسة مقدسة تحمل سمة التقديس كعريسها السماوى الذى به تتقدس ، كنيسة جامعة تحمل سمة الجامعية فالمسيح ربنا يجمعها كلها فى وحدة واحدة من أقاصى المسكونة الى اقاصيها ، كنيسة رسولية ، تحمل سمة الرسولية مبنية على اساس الرسل والمسيح نفسه حجر الزاوية فيها ، ولأنها مقدسة وجامعة ورسولية ، هى أيضاً ابائية .

لقد سألت عروس النشيد حبيبها قائلة : «اخبرنى يا من تحبه نفسى ، اين ترعى ، اين تربض عند الظهيرة» ، فكان جوابه «إن لم تعرفى ايتها الجميلة بين النساء فأخرجى على آثار الغنم» {نش ١ : ٧} .... وليست آثار الغنم سوى اثار هؤلاء الاباء القديسين الذين أحبوا الرب وخدموه بكل طاقاتهم ، فصارت أخبارهم شهية جداً ، وصورة تدبير الله معهم مرسومة أمامنا كالأدوية الكريمة لعيوننا الضعيفة ، يرسمون لنا الطريق لنتمثل

بهم كما هم بالمسيح يسوع {اكو ١١ : ١} .

ويخرج أعضاء كنيسة الاباء على آثار آبائهم وكتاباتهم وكلامهم الذى كان بحكمة بين الكاملين فإستمرت حيويته ... إذ أن كتاباتهم هى واقعهم وحياتهم ، كتابات وأقوال مكتوبة بالنعمة ويوحى روح الله الذى إستوعبه الآباء وملأهم وبارك ملكاتهم وصاغ لغتهم وحفظ أنفاسه كعطية الله للكنيسة ، لتكون كنيسة الآباء كنيسة الدهور لكل العالم .

إن العصر الآبائى الأول يحمل قسماته الخاصة وخصائصه التى تميزه والتى تؤكد عدم إنفصال حلقات التطور التاريخى وان التاريخ لا ينقطع تأثيره ... إذ أن روح الله العامل فى الكنيسة المقدسة يقود مسيرتها ويقدس أسرارها ويحفظها الى التمام .

ومن بين إهتمامات الاباء «اللاهوت العقيدى *Dogmatic Theology*» كأحد فروع علم الباترولوچى التى تتناول شخص المسيح ابن الله كعقيدة اساسية فى كل كتاباتهم كتعليم وحياة ، فوضعوا قانون العقيدة المسيحية وصاغوه بشهادتهم العملية كخبرة انسانية ، وإنشغلوا بالدفاع عنه أمام البدع والهرطقات .

وفى حديثهم عن العقيدة الخاصة بالمسيح *Christological Dogma* وجدوا ان المعرفة الالهية هى عمل الثالوث القدوس التى تزيد بالحب والعشرة وتلتهب اكثر فأكثر بالإشراق النورانى فى النفس والحواس المدربة ، فمعرفة الله هى حضنه الذى يضع فيه كل المنشغلين به والذين يتممون ارادته كما لو كانوا جواهره وذهبه الذى يحفظه فى حضنه ، لذلك كله اعتبروا المعرفة والعقيدة اللاهوتية معرفة دياليكتيكية ديالوجية تتجه من الله نحو الانسان ومن الانسان نحو الله ، معرفة قنية الله والانشغال به يسعون متجهون اليه .

يتسع علم اللاهوت الآبائى *Patristic Theology* ، ليحمل بين طياته كل ما يمس الحياة مع الله والتى كشف لنا عنها الآباء لا كمفهومات وصيغ تعليمية ، بل كخبرة مسيحية سرائرية حية وعاملة فى حياة الكنيسة ، وكحقائق خلاصية واقعية ومعاشة يعلمها الروح القدس الرب المحيي ... لذلك كلمونا عن اللاهوتيات لا كمعقولات جامدة خشبية قابلة للنحت وغير قابلة للحياة ، بل كانت مسيحيتهم إيمان وأعمال ، عقيدة وتقوى ، استقامة فكر وحياة وخبرة روحية تسندها العقيدة الصحيحة .

ويعلمنا الآباء ان اللاهوتى حقاً هو الذى يصلى ، لذلك تتبنى المعرفة اللاهوتية على محبة الصلاح وروح الصلاة والحب والذبائح والنسك وقبول الألم بفرح وجمال العشق الالهى ، فعلمونا ان دراسة اللاهوت تحتاج الى توبة مستمرة ديناميكية توجه الفكر ليعود من الحلولى والأرضى والمادى الى ما هو طبيعى وسامى وسماوى .

ويرى الاباء ان اللاهوت اساس الكرازة وجوهر خدمة التعليم الكنسى وسر التسبيح وركيزة الليتورجيا ودعامة الحياة النسكية ، فمن خلال الفكر النقى المستقيم نؤمن ونعرف ونحيا ونتأمل لاهوتياً ونعبد بكل طاقاتنا وإشتياقاتنا التى هى هبة الله للإنسان فى المسيح يسوع ومن ثم فى الكنيسة التى هى جسده مستودع النعمة التى لا خلاص لأحد خارجها .

لأجل هذا يدعونا الآباء الى خبرة حياة نعيش فيها ايماننا الاقدس وعقيدتنا فى شخص المسيح ، فنرى النور اللامخلوق ونعطى المجد لله الذى أحبنا وبذل ذاته من أجلنا ، فنواظب على التسبيح والتمجيد الذى لا يشيخ بل يتجدد فى أعماقنا مسبحين الرب الذى يليق به التسبيح ، الذى كللنا بفرحة الطيب الغامر .

نأمل أن تقدم سلسلة الآباء (ΙΧΘΥΣ) فكرة مبدئية عن عمق وعذوبة الحياة والفكر المسيحى ، المتمثل فى سيرة الآباء (أعمالهم) وفكر الآباء (إيمانهم) كقاعدة وأساس الكنيسة ، فنلمس أن اللاهوت نعمة (نعمة الثالوث) ، وأنه تلمذة غالية ونفيسة ، نتلامس فيها مع عمل الله فى قديسيه .

وهنا نأتى لنتتلمذ ونتلامس مع عمل نعمة الله مع القديس هيلارى اسقف بواتييه بفرنسا ، الذى جاءت سيرته خلال أعماله واقواله وحياته العميقة التى ابرزت الايمان الجامع والتدبير الكنسى والتعليم السليم كعمل اسقفى وابوى بالدرجة الاولى وكخبرة ايمانية مدموغة بالالم والنفى .

اتسمت حياته بقداسة السيرة ومحبة التعليم الصحيح ، مقتفياً آثار الآباء شهادة لديمومة عمل الله فى كنيسته ، فعمل كل ما بوسعه للهرب من درجة الاسقفية المقدسة ، لكن صفاته جعلت شعبه يتمسك به أكثر ، فأضاءت شخصيته المتألقة الكنيسة كلها ، حريصاً على العقيدة الرسولية والتقليد الارثوذكسى المستقيم مقاوماً الهراطقة الذين زلوا وانحرفوا عن جوهر الايمان المسيحى ، شاهداً للحياة الايمانية فى المسيح بالسهر

والمثابرة والشجاعة ، مدافعاً عن عقيدة وحدة الجوهر الالهى (الهوموأوسيوس) ، مسانداً القديس اثناسيوس الكبير ، حتى انه قال : «لو أنى خُيرت بين الموت ومخاصمة اثناسيوس لفضلت الاولى على الثانية» ، فوقف موقفاً لا يُحسد عليه ، إذ وقف قبالته الاغلبية الساحقة من الاساقفة فى تضاد معه ، فكان جهاده كصدى لجهاد البابا المصرى اثناسيوس الرسولى ، بعد ان أيده فى مواقفه الدفاعية عن الايمان .

كرس القديس هيلارى مواهبه الادبية فى الرد على الآريوسية واقتبس بكثرة من الآباء معلمى الشرق الكبار ، فكان بمثابة القناة التى من خلالها أثرى الفكر الغربى بالرؤية الشرقية ، لذا أعتبر بمثابة مستشرق تتلمذ على اباء الشرق كوسيط بين علوم اللاهوت الشرقية المكتوبة باليونانية وبين علوم اللاهوت الغربية المكتوبة باللاتينية .

سُمى القديس هيلارى بـ "أثناسيوس الغرب" من حيث أنه تمثل بالبابا اثناسيوس رجل الايمان الحى ، مناضلاً اكثر منه لاهوتياً متخصصاً ، لذلك تمثل كتابته شهادة اسقف نُفى من اجل الايمان التقليدى ، فإهتم ليس فقط بالدفاع عنه ، بل بالغوص فى

اعماقه ايضاً ، وعلى الاخص فى هذا السر العظيم الذى لله الواحد المثلث الاقانيم مشغولاً بسر الثالوث القدوس ، لا يفصل فى كتاباته الآب عن الإبن عن الروح القدس ، وهذه العقيدة ليست جامدة تُقبل بإذعان ، بل هى قانون للحياة تتحول الى سلوك حى بالمحبة المسيحية الحقيقية .

إن السمة البارزة فى سيرة القديس هيلارى وتعليمه إنه كان خطيباً بارعاً وشاعراً لم يبال بالآلام ، ومجادلاً يدحض الآريوسية ويشرح ايمان الكنيسة الجامعة ، يدافع عنه ويقدم الرد المنهجى على فكر الآريوسيين وإدعاءاتهم ويفند إنحرافاتهم مقدماً تعليماً لاهوتياً غنياً ، مفسراً للكتاب المقدس تفسيراً خريستولوچياً متبعاً المنهج الرمزى .

ارتبطت الكلمة بأقواله كما ارتبطت بالالم والنفى لكى يشهد ويدافع بإيمان وامانة ، ولا يمكن أن ينفصل اسم القديس هيلارى عن مقاومة الآريوسية ومساندة البابا اثناسيوس العشرين ، بعد أن تأيد بقوة فى الانسان الباطن وطار فرحاً فى الالم ووثب مبتهجاً لانه خزن كنزاً عظيماً ، فجاءت سيرته كتلة نيران ألم ملتهبة تكشف اصالته وأضافت عليه بهاءاً خاصاً ، فالشتاء

والصيف يتلاحقان من اجل اثمار الارض .

لذلك جاءت كتاباته كتابية مشبعة بالفكر الانجيلى والتعليم اللاهوتى ورسائله وثائق تاريخية تشمل تطورات الجدال الآريوسى فهو لاهوتى اهتم بالجانب العقيدى *dogmatic* والجانب الدفاعى *apologatic* مقاوماً البدع مفصلاً الايمان الارثوذكسى باستقامة ، مجاهداً ضد الاريوسية فى الغرب مجاهدة النور مع الظلمة والحياة مع الموت حتى انهارت الآريوسية الملفقة ، بعد ان عاش فى مكابدة ونفى وحياة متألمة ....

فقيام المسيحية فى الغرب حتى الآن على ذات الايمان النيقاوى الذى وضعه البابا اثناسيوس الكبير هو اكليل مجد على رأس القديس اثناسيوس والقديس هيلارى عوض اتعابهما ونفيهما وجهادهما من اجل سلامة العقيدة .

حقيقة ان الغرب كله مدين لاسقف بواتييه من اجل سهره على حفظ الايمان ، فنأى بكنيسته بعيداً عن التلوث الآريوسى وعن مهادنة الآريوسيين وأنصاف الآريوسيين وعن ضغوط السلطة السياسية ، حارساً للتراث الالهى الفريد ليُسلم من جيل الى جيل ، فحفظ رضى المسيح على كنيسته وهى تكرز

بالخلاص وتعيش كما يحق للايمان به ، وفى هذا كله حفظ احكام الله وامانة التعليم الحقيقى ، ولو خسر كل كنوز العالم وامجاده الزائفة منفياً مستبعداً عن كرسيه .

يؤكد تاريخ كنيسة الاباء على ان الفترة التى تبدأ من القديس اثناسيوس الى نياحة القديس هيلارى تعتبر الفترة الذهبية فى الكتابات الابائية ، لذا نجد فيها الكُتّاب الموهوبين ذوى الانتاج اللاهوتى الاصيل والغزير ، وفى ذات هذه الفترة ظهرت الاريوسية فى الشرق ، والبيلاچية فى الغرب وبدأت الهرطقات المتصلة بطبيعة المسيح .

وفى عام ٣٢٥ م أُدينت الاريوسية ، وانهدمت بجهاد البابا اثناسيوس الرسولى ثم القديس هيلارى اسقف بواتييه (المدعو اثناسيوس الغرب) .. بعد أن بعثت الهرطقات دافعاً قوياً لمزيد من النشاط التأليفى ، لذلك قدم الآباء فى هذه الفترة حقائق الايمان المسيحى بإتزان ووعى إلهى ، وهو ما لمسناه فى قديسنا هيلارى صاحب هذه السيرة الذى كان راعياً ذا تخصص لاهوتى عال يذود عن رعيته ويدافع عن الايمان ويضع اساس العقيدة مغروساً فى نفوسهم .

ويسرنى أن أقدم هذه السلسلة الآبائية مساهمة متواضعة من خدمة التربية الكنسية فى احتفال الكنيسة بالعيد المئوى للكلية الاكليريكية فى عهد عاهل الاكليريكية معلم معلمى هذا الجيل **البابا شنودة الثالث** رئيس الأحبار .

وقد إعتمدت بالأكثر على ما ورد فى مجموعة «باترولوچى *Patrology*» لمؤلفها عالم الآبـاء الشهير چونز كواستن *Johannes Quasten* المجلد الرابع .

إننا نحتاج الى علم اللاهوت الآبائى فى كنيستنا والى تعميقه فى الدراسات بالكلية والتى تحتفل بعيدها المئوى ليس بصورة مدرسية رتيبة أو بصورة بدائية بل كلاهوت نبوى يتكلم باسم الله وعن الله ، ليعرف شعبنا ويرى ويحيا العقيدة الارثوذكسية ، ويختبر خدامنا ودارسونا غنى ودسم المادة الآبائية .

فقد رأينا ولمسنا النهضة الابائية فى كنيستنا سواء فى زرع روح الآباء ونشر فكرهم واعمالهم ، أو فى الثمار الروحية للتعليم والرعاية التى اصبحت حقيقة وواقع فى عهد قداسة **البابا شنودة الثالث** الـ ١١٧ ـ حفظه الله ـ الذى قدم للكنيسة روحاً ابوياً ونمواً فى الروح والفكر وامتداداً للكرازة والعمل

الرعوى بروح دفاعى رسولى وأبوى حاملاً مشعل الأرثوذكسية فى العالم كله

وفى خضوع البنين نطلب صلوات غبطته عنا ، وايضاً صلوات شريكه فى الخدمة الرسولية ابينا صاحب النيافة الحبر الجليل **الانبا بنيامين** النائب البابوى بالاسكندرية ، الذى نحبه لانه احبنا اولاً ، وافتقدنا بأبوته فأحببنا الآباء فى شخصه المبارك .

وشكراً خالصاً للاب الموقر **القمص تادرس يعقوب** مدرس علم الباترولوچى الذى أعطانا الدفعة الاولى فى هذا العمل ، وشكراً خالصاً للاب الموقر **القمص اثناسيوس ميخائيل** مدرس التاريخ الكنسى الذى يشجعنا ويسندنا من اجل صدور هذه السلسلة .

ونطلب من الله نعمة ومعونة وبركة خاصة بصلوات وشفاعات رؤساء الآباء والآباء ، وبركة ابينا ابو الآباء مثلث الطوبى **البابا الانبا شنودة الثالث** ، ولربنا كل المجد والكرامة من الآن والى الابد آمين .

صوم الميلاد

١٩٩٢

القديس هيلارى
اسقف بواتييه

St. Hilary of Poitiers

إن أغلب ما نعرفه عن القديس هيلارى اسقف بواتييه الملقب بـ "اثناسيوس الغرب" يتعلق بالجدال الأريوسى ، ونستخلص الشق الاكبر من هذه المعرفة من كتاباته ، ويحدد القديس چيروم تاريخ ميلاده بأنه فى حوالى بداية القرن الرابع فى بواتييه عاصمة مقاطعة اكريتين ببلاد الغال (فرنسا) ، وتاريخ اختياره اسقفاً لبواتييه بأنه حوالى سنة ٣٥٠ ، ومن التلميحات التى جاءت فى كتابات القديس هيلارى ، خاصة فى مقدمة كتابه «عن الثالوث» نستنتج انه وُلد فى عائلة وثنية لكنه قبل الايمان المسيحى لسببين :

١ - لانه سئم واستنكر الحياة المخصصة للشهوات ، وتناقضات الفلاسفة .

٢ - لانه استنار بقراءة الاسفار المقدسة .

فقادته النعمة الالهية إلى الايمان المسيحى بعد ان اكتشف حماقة الوثنية ، وتمتع بالاسفار المقدسة الالهية ، ونلتقى بهيلارى لاول مرة فى المجمع الذى عُقِدَ فى بيزيه *Béziers* سنة ٣٥٦ ، بعد فترة قصيرة من ارفضاض مجمع ميلان سنة ٣٥٣ الذى رضخ فيه الاساقفة الغربيون تحت ضغط قسطنطيوس الامبراطور وقادة الاريوسية فى الغرب ، وموافقة هؤلاء الاساقفة على ادانة القديس اثناسيوس الرسولى ، الامر الذى دفع القديس هيلارى لان يقطع شركته مع هؤلاء الاساقفة ، والذين كان من بينهم ساتورنينوس *Saturninus* اسقف ارل بفرنسا *Arles* القوى النفوذ ، ونظراً لاصرار القديس هيلارى على مقاومته للآريوسية وتمسكه بعقيدة البابا اثناسيوس الرسولى ، خُلع ونُفى الى فريچية *Phrygia* ، وتمثل سنوات النفى الثلاث التى قضاها القديس هيلارى فى الشرق ، فترة حاسمة وحيوية جداً فى بنيته الفكرية واللاهوتية ، إذ قرأ هناك فى منفاه اعمال الآباء اليونانيين خاصة اعمال العلامة اوريجانوس التى كان لها اثرها الكبير عليه .

واشترك القديس هيلارى فى مجمع سلوقيه *Seleucia* الذى

انعقد فى سبتمبر سنة ٣٥٩ ، ويعد هذا الامر عجيباً لانه كان اثناء فترة نفيه ، لكن المؤرخ سلبيسيوس ساويرس [١] *Sulpicius Sererus* يخبرنا ان المسئولين عن استدعاء اساقفة آسيا ، فى ظل عدم وجود تعليمات فى هذا الخصوص ، سمحوا له أن يدخل ويشارك فى المجمع ، وعلى اية حال ، استمتع القديس هيلارى بحرية الحركة اثناء فترة نفيه وهى حرية لم يحظى بها الاساقفة الاخرون الذين نُفوا معه مثل يوسابيوس اسقف ڤرساى *Veralli* ولوسيفر اسقف *Cagliari* وبعد ارفضاض المجمع ، ذهب القديس هيلارى الى القسطنطينية ، وفيها علم أن الاساقفة الغربيين المجتمعين فى ريمينى *Rimini* قد رضخوا لضغط الامبراطور ووقعوا على ما يُسمى قانون ايمان ريمينى *Cread of Rimini* والذى لا يمكن أن يوصف إلا بأنه مؤيد للأريوسية ، وبعد أن فوجىء القديس هيلارى بهذا الانحراف وهذه المهادنة ، قدم الى قسطنطينوس طلباً بأن يسمح له بعقد مناظرة علنية بينه وبين ساتورنينوس اسقف آرل ، لكن الامبراطور رفض طلبه وسمح له بالعودة الى وطنه دون أن يطلب منه التوقيع على الاعتراف الايمانى المؤيد للهرطقة الأريوسية ،

ويخبرنا ساويرس المؤرخ [٢] أن القديس هيلارى كان مُعلماً ومُحمساً للشعب ضد الهرطقة الاريوسية فى الشرق ، ويذكر ان عودة هيلارى لوطنه لم تتضمن اعادته لكرسيه الاسقفى .

وفى عودته الى فرنسا كان استقباله استقبالاً حافلاً ضخماً .. بعد ان جاهد من اجل الحفاظ على الايمان المستقيم مقاوماً الآريوسية ورافضاً للشركة مع الآريوسيين والمناوئين لهم ، حتى انه قام ومعه يوسابيوس اسقف رُساى *Vercelli* بمحاولة خلع اوكسنتيوس *Auxentius* الاسقف الاريوسى الذى جلس على كرسى اسقفية ميلان ، لكن يبدو ان هذه المحاولة لم يُكتب لها النجاح .

واخذ القديس هيلارى يدعو الاساقفة الاريوسيين وانصاف الاريوسيين إلى الرجوع الى قانون الايمان الذى وضعه مجمع نيقية ، وظل اللاهوت يتدفق من قلبه فجاء مدافعاً عن الايمان قوياً امام الامبراطور حاملاً مشعل الارثوذكسية فى الغرب المسيحى ويذكر القديس چيروم انه تنيح بسلام فى سنة٣٦٧ م ، قبل ان يرى رجعة العالم كله الى حظيرة الايمان المستقيم ومعرفة الله الحقيقية .

وصفه القديس اغسطينوس بأنه المع وأشهر آباء الكنيسة ، بعد أن إستعان به فى مقاومة البيلاچيين الهراطقة ، وقال عنه القديس چيروم انه كان بليغاً وأنه صوت اللاتين العالى ضد الاريوسيين ، وقال عنه مع القديس كبريانوس اسقف قرطاجنة : «لقد غرس الرب شجرتى صنوبر جميلتين خارج العالم داخل الكنيسة» .

✝ ✝ ✝

كتابات القديس هيلارى

(١) الاعمال اللاهوتية

١) عن الثالوت *De Trinitatel*

إن عمل القديس هيلارى الرئيسى هو «عن الثالوث» ويقع فى إثنى عشر كتاباً ، وقد كتب هذا العمل اثناء سنوات النفى ، وبسبب ضخامة حجم العمل التأليفى وفى ضوء نشاط القديس هيلارى القوى فى الشرق ، يرى البعض أن هيلارى بدأ فى كتابة هذا العمل قبل النفى ، وفى بداية كل كتاب ، يوضح هيلارى أنه يرفض الهرطقات المنحرفة التى هى الاريوسية والسابليانية ، ومثل هذا الايضاح لا يمكن أن يكون إلا نتيجة لاتصاله بالهوموأوسيين (اصحاب الايمان المستقيم بمساواة الابن للآب فى الجوهر) اثناء اقامته الاجبارية فى فريچية بالمنفى ، وقد فرغ هيلارى من هذا العمل قبل عودته الى فرنسا وتلمس ذلك من الفصول الاخيرة (٥٥ - ٥٦) من الكتاب الثانى عشر ، والتى تعتبر ملحقاً بالكتاب الثانى عشر دون أن ترتبط بالموضوع

السابق لها وهى تتناول تفنيد الهرطقات الخاصة بالروح القدس ، وبذا تشهد هذه الفصول لأول عمل فى تاريخ الجدال الخاص بالروح القدس والذى بدأ فى الشرق فى عام ٣٦٠ ، وفى الشرق فقط كان يمكن لهيلارى ان يعرف هذا الموضوع الذى لم يعلم به الغرب الا بعد سنوات عديدة .

ويتضح فى هذا الكتاب منهج القديس هيلارى الثالوثى اذ يعتبر أن اللاهوت الثالوثى قانون للحياة تتحول به الى سلوك حى بالمحبة المسيحية الحقيقية ، فاللاهوت فى منهجه وفكره يكمل فى الثالوث ، وهذه هى فقط التقوى الحقيقية بل هذا هو الصلاح والحق .

الكتاب الأول : هو كتاب تمهيدى ، يشرح القديس هيلارى فى مقدمته سمو الطبيعة الالهية عن الفهم البشرى ، ثم يقدم ملخصاً منظماً ومفصلاً للعمل كله كتاباً كتاباً ، والعمل فى حقيقته يتكون من الكتب ٢ : ١٢ ، وهذه مقسمة الى ثلاثة أجزاء :

الجزء الأول : يشمل الكتب ٢ : ٣ ، ويحوى مقدمة عامة

عن العلاقة بين الاب والابن والطبيعة الالهية للابن ، وفى الكتاب الثانى يدافع القديس هيلارى عن موقف الكنيسة الجامعة تجاه الهرطقات المختلفة ، ويؤكد على حقيقة وازلية ميلاد الابن الالهى وكذلك يتحدث عن الروح القدس ، أما الكتاب الثالث فيخصصه القديس هيلارى لتفنيد ودحض ادعاءات الاريوسيين القائلة بأن الابن اقل من الآب ، ويختم هيلارى هذا الكتاب بحديث طويل عن عجز وقصور الحكمة البشرية ، فلا يمكن لأى أحد أن يدرك الكلام الالهى إلا الإنسان الذى يسعى وينقى قلبه بالطهارة والنقاوة والنسك ، فاللاهوت ليس مجرد نتيجة لجهد العقل .

معتبراً أن معرفة الله هبة روحية ومعرفة حية ، معرفة محبة وشركة وتقديس ، فلا فرق بين طريق المحبة وطريق المعرفة ، إذ أن المعرفة الحقيقية تقترن بالمحبة والافراز الواعى والصلاة بمواظبة ، فالقلب هو الذى يصنع اللاهوتى ، إذ أن المعرفة اللاهوتية السرية على النقيض من كل معرفة بشرية تأتى من عقل الانسان ، لذلك اللاهوتى الحقيقى هو من له شركة مع الله .

الجزء الثانى : يتضمن الكتب ٤ : ٧ ، ولا يرتبط بالجزء الاول إلا إرتباط سطحى ، ويقدم القديس هيلارى ، بعد أن ذكر ادعاءات الأريوسيين ، الإعتراف الايمانى المنحرف الذى أرسله اريوس المبتدع الى البابا الكسندروس بطريرك الاسكندرية ، والذى يمثل وثيقة هامة عند الأريوسيين ، ثم يبدأ أثناسيوس الغرب فى تفنيد هذا الاعتراف بادئاً من أول جملة فيه ، ولا يبدأ فى تفنيد الجملة الثانية الا فى بداية الكتاب الخامس ، وفى الحقيقة ، إستخدم هيلارى هذا المنهج فى تفنيد الاعتراف الاريوسى لكى يقدم تعليماً غنياً ، يصيغه فى اربع نقاط :

النقطة الأولى (كتاب ٤) : يثبت هيلارى بأمثلة كثيرة أغلبها من سفر التكوين (الظهورات الالهية) ومن الانبياء ، أن العهد القديم قد علّم فعلاً بوجود الابن كإله مع الآب .

النقطة الثانية (كتاب ٥) : بعد أن درس العهد الجديد ، يوضح هيلارى أن الابن ليس فقط اله ، بل إله حقيقى كما الآب ، رغم انه ليس الهاً ثانياً .

النقطة الثالثة (كتاب ٦ من الفصل ٢٣ وما يليه) : يقدم نفس الموضوع ، لكن يناقشه هذه المرة فى ضوء صفحات العهد

الجديد ويخلص الى أن المسيح هو حقاً ابن الله .

النقطة الرابعة (كتاب ٧) : يختم هيلارى اثباتاته وبراهينه اللاهوتية بأن يؤكد ـ مستعيناً بنصوص من العهد الجديد ـ أن المسيح هو اله حقيقى مثل الآب ، وهو معه اله واحد .

وداخل هذه البنية الحسنة التركيب ، تمثل الفصول من ٢٣:١ من الكتاب السادس نوعاً من الملحق أو التذييل ، ويذكر هيلارى للمرة الثانية النص الكامل لإعتراف آريوس الهرطوقى ، ويعقب عليه بتفنيد مختصر شامل ، ولا يذكر الكاتب الدوافع التى جعلته يذكر نص آريوس للمرة الثانية .

الجزء الثالث : يتضمن الكتب ٨ : ١٢ ، ويذكر هيلارى فى بداية الكتاب الثامن محور هذا الجزء ، فبعد أن شرح فى الكتب ٧:٤ ايمان الكنيسة الجامعة ، يسعى فى هذا الجزء لتفنيد الادعاءات الاساسية التى يقول بها الأريوسيون ، ويدحض فى الكتاب الثامن العقيدة الاريوسية المنحرفة التى ترى أن الوحدة بين الآب والابن هى مجرد وحدة اخلاقية ، والكتب ١١:٩ يخصصها القديس هيلارى لتقديم رد منهجى على براهين

الاريوسيين التى يحاولون أن يثبتوا بها ان الابن اقل من الآب ، وفى الكتاب التاسع ، يناقش المؤلف بعض النصوص الكتابية التى يتحدث فيها السيد المسيح عن نفسه كما لو كان اقل من الآب ، ويشرح هيلارى هذه الآيات فى ضوء تدبير الخلاص والتجسد ، والكتاب العاشر يناقش آلام وموت المسيح التى رأى الأريوسيون فيها دليلاً على عدم كمال الوهية المسيح ، ويفسر هيلارى الآلام والموت بأن يميز بين اللاهوت غير المائت وبين الناسوت المُتخذ ، وبالمثل يشرح فى الكتاب الحادى عشر عقيدة القيامة والصعود الى الآب {١كو ١٥:٢٦} ، وأخيراً ، يخصص الكتاب الثانى عشر لتفسير {أم ٨:٢٢} وهى آية أساسية فى الفكر الاريوسى ، وينتهى هذا الكتاب بملحق يتكون من الفصلين ٥٥ ، ٥٦ يتحدثان عن الروح القدس كما ذكرنا .

من هذا الملخص ، يتضح أن كتاب الثالوث يعالج أكثر من موضوع ، ولكى تتم كتابة هذا العمل الضخم ، إستعان القديس هيلارى بمراجع عديدة ، ونجد نوفاتيان فى العديد من الاثباتات فى الكتابين الرابع والخامس ، وأيضاً فى مواضع أخرى ، ومن الواضح أيضاً أن القديس هيلارى لديه معرفة بكتاب ترتليان

«ضد براكسيان *Adversus Praxean*» ، وبسبب عبقرية وكمال هذا العمل ، صار عنصراً جديداً فى الأدب اللاهوتى اللاتينى ، وكان له أثره القوى على الكُتّاب المجاهدين ضد الأريوسية المعاصرين واللاحقين له .

وفى هذا الكتاب اللاهوتى الثالوثى القوى الحجة رد القديس هيلارى وفسر بعض المعضلات الواردة بالكتاب المقدس فتكلم عن مغزى الاسم السرمدى (أنا هو الكائن بذاتى) {خر٣} (أهية الذى أهية) قائلاً :

«إنى مندهش حقاً من هذا التعريف الواضح لله ، الذى يعبر عن المعرفة الفائقة عن الادراك للطبيعة الالهية، لكلمات ملائمة تماماً للفهم البشرى . لأنه لا توجد صفة من صفات الله اكثر تمييزاً له ويمكن بها إدراكه مثل وجوده . فهو كائن من ذاته ولا صلة له بتلك الاشياء التى سوف يتوقف وجودها يوماً ما ، ولا بتلك الاشياء التى لها بداية ، فمن غير الممكن لذاك الذى يجمع بين الخلود والقدرة اللانهائية أن يكون فى وقت ما غير كائن .... لأن كل ما هو الهى غير معرض للفناء أو الإنشاء ، وخلود الله لا ينفصل عنه بأى حال من الاحوال إذ هو خلود لانهائى» .

وفسر القديس هيلارى ما قيل لموسى «أنا جعلتك الهاً لفرعون» فالمقصود انه عندما ازال عنه ضربة الحشرات الضارة وعندما اوقف البرد وأبعد الجراد .... فهو الذى جعله يرتعد ثم يتوسل ، يُعاقب ثم يُشفى ، فهناك فرق بين أن يُدعى الشخص إلهاً وبين أن يكون الهياً ، فقد جعل الله موسى الهاً لفرعون ولم يكن له الطبيعة ولا الاسم الذى يختص بالله ، وقد كُتب «أنا قلت انكم آلهة» (مز٨٢:٦) لأنها مجرد منحة وإمتياز ، فقوله «أنا قلت» يبين أنه ليس تعريفاً وإنما هو وصف فقط لمن إختار ان يقول ذلك ، فالتعريف يعطينا معرفة الشىء الذى يُعرّف ، وأما الوصف فيعتمد على الارادة المطلقة للقائل ....

وعن تسمية الرب ملاكاً فى العلقية المشتعلة وهو فى نفس الوقت إله ابراهيم واسحق ويعقوب المتكلم مع موسى ، يقول : «لقد أستعلن كملاك وهذا هو عمله ، ولكن ليس طبيعته ، فالاسم الذى يعبر عن طبيعته قد أعطى لكم على أنه هو الله ... فحديث الله بدا كأنه حديث الملاك لكى يكشف عن سر خلاص البشرية بالابن ، ثم بعد ذلك ظهر انه اله ابراهيم واله اسحق واله يعقوب ، لكى نعرف اسمه الذى هو طبيعته ، وأخيراً

هو الله (الذى هو كائن بذاته) الذى أرسل موسى لإسرائيل ، لكى نتأكد بيقين انه هو الله بكل ما تعنيه الكلمة» .

فتجسد المسيح وآلامه قد صاراً تتميماً لمشيئة الله وخلاصاً للعالم ، وهذا أمر يعلو على المنطق البشرى ان الاله يولد من الإله ، والابن مساوى للآب فى الجوهر ومع هذا يتجسد ، ويخضع بحسب بشريته ، وأخيراً بعد ثلاثة أيام يقوم من الموت الى الحياة ، ويصعد الى السماء بجسده الذى اتخذه ، فكل ما أنبأ به الانبياء من اقوال قد تحقق وتثبت فعلاً بالأعمال .

٢) عن المجامع *De Synodis*

فى الشهور الاولى من عام ٣٥٩ ، بينما كانت الاستعدادات تُجرى لعقد مجمعى ريمينى وسلوقية ، اللذان أعطت الاطراف المتعددة فى الجدال لنتائجهما أهمية حاسمة ، كتب هيلارى - رغم انه كان مشغولاً بكتابه «عن الثالوث» - كتابه «عن المجامع» ، موجهاً اياه الى اساقفة فرنسا والايبارشيات المجاورة ، ولكن فى المقام الاول الى اساقفة الشرق .

وكان هدف هيلارى من هذا العمل هو ان يوحد جهود

الهوموأوسيين (المتمسكون بالإيمان المستقيم بمساواة الابن للآب فى الجوهر) مع جهود الهومى أوسيون (الشبيهيون - القائلين بأن الابن مجرد شبيه بالآب) ، فشرح مصطلحات قانون الايمان النيقاوى واكد على الوحدة والتمايز فى الثالوث القدوس .

أحدث كتابه هذا المُسمى ايضاً المصالحة - الايرينيكون *Eirenicon* » اثراً سريعاً عندما ألّفه اثناء وجوده فى المنفى من سنة ٣٥٦-٣٥٩م فى فيريجيا بآسيا الصغرى بعد أن رفض التوقيع على مجمع ميلان . ولم يكف القديس هيلارى اسقف بواتييه كلاهوتى تقليدى بارع عن شرح كل المصطلحات الواردة فى قانون مجمع نيقية والتى كانت غامضة بكل ما أوتى من قوة حتى كسب للغرب كل الذين أضر بهم الوباء الاريوسى ويكاد هيلارى أن يكون العامل الاساسى فى إضعاف شوكة الاريوسيين وإنقاص عددهم فى الغرب .

✝ ✝ ✝

(٢) الاعمال التاريخية

١) الرسالة الى قسطنطيوس *Liber ad Constantium*

تحت اسم «الرسالة الاولى الى قسطنطيوس» كان يُعرف لزمان طويل نصان هما فى أغلب الاحتمالات جزء من مجموعة تُعرف باسم «شذرات تاريخية *Fragmenta Historica*» ، والنص الاول هو رسالة ارسلها الاساقفة الغربيون المجتمعون فى مجمع سرديكا *Sardica* سنة ٣٤٣م الى الامبراطور ، يطلبون منه أن يضع حداً للإضطهادات التى ينالها مؤيدو قانون الايمان النيقاوى ، والنص الثانى هو نص قصصى كتبه هيلارى ، ويروى فيه الاجراءات الغريبة الغير عادية التى اتخذها مجمع ميلان سنة ٣٥٥م ضد البابا اثناسيوس وضد يوسابيوس اسقف ڤرساى *Vercelli* ، وقد كتبه هيلارى سنة ٣٥٦م ، أى بعد حدوث هذه الاحداث على الفور وقبل نفيه .

٢) الرسالة الثانية الى قسطنطيوس *Liber II ad Constantium*

٣) الرسالة ضد قسطنطيوس *Liber Contra Constantium*

يعود تاريخ الرسالة الثانية الى قسطنطيوس الى عام ٣٥٩م وفيها يطلب القديس هيلارى ـ الذى ذهب الى القسطنطينية بعد مجمع سلوقيا ـ من الامبراطور أن يسمح بعقد مناظرة علنية بينه وبين ساتورنينوس اسقف آرل ، الذى كان السبب فى إدانة هيلارى الظالمة فى مجمع بيزييه *Bèziers* والذى كان فى القسطنطينية فى ذلك الوقت ، وأرفق القديس هيلارى بالطلب دعوة لرفض التعريف الايمانى الجديد والذى وضعه مجمع ريمينى *Rimini* والعودة الى قانون الايمان الذى وضعه مجمع نيقية .

ومن الواضح أن طلب هيلارى لم يأت بنتيجة ، فكتب القديس وهو عالم تماماً بإتجاهات الامبراطور الاريوسية ، ومتأملاً من أحداث مجمع ريمينى سنة ٣٥٩م ومجمع القسطنطينية المكانى سنة ٣٦٠م ، رأيه فى الامبراطور بوضوح وتفصيل فى كتاب بعنوان «الرسالة ضد قسطنطيوس» ، وبمصطلحات حاسمة

قوية ، يقارن هيلارى بين الامبراطور وبين اشر المضطهدين : نيرون ، ديسيوس ، مكسيميان ، بل اعتبر ان الامبراطور اردأ منهم ، لأنهم كانوا اعداء معلنين ، أما هو فخائن لطيف بحسب الظاهر ، ويذكر هيلارى الإتهامات المعروفة ضد الاريوسيين مدعمة بالوثائق ، ويذكر تفاصيل هامة جداً بخصوص مجمع سلوقية الذى شارك فيه ، ويقول چيروم (١) أن هيلارى كتب هذه الرسالة بعد موت قسطنطيوس ، ومن الواضح من النص نفسه ان الكاتب كان لايزال فى المنفى عند كتابته ، وأن قسطنطيوس كان لا يزال حياً عندما عاد هيلارى الى فرنسا ، فمن المحتمل ان يكون القديس هيلارى نشر العمل فى وقت لاحق ، ومع ذلك لا يمكن ان نرفض الاحتمال بأن يكون هيلارى قد نشر هذا العمل أثناء اقامته فى الشرق .

كتب مدافعاً عن البابا اثناسيوس الرسولى ضد الامبراطور قسطنطيوس الذى اراد ادانة البابا العشرين فقال : «اننا نقاوم قسطنطيوس عدو المسيح ، الذى يداعب البطون قبل ان يلهب الظهور بالسياط» .

٤) ضد اوكسنتيوس *Contra Auxentium*

كتب هيلارى هذا العمل سنة ٣٦٤م بعد محاولة فاشلة قام بها مع يوسابيوس اسقف *Vercelli* لطرد الاريوسى اوكسنتيوس من كرسى اسقفية ميلان ذى الاهمية الكبيرة ، وكان هذا الاريوسى قد احتل الكرسى منذ عام ٣٥٥ ويروى هيلارى بسرعة فى هذه الوثيقة ، المختصرة والمكتوبة بإسلوب الرسالة العامة الى الاساقفة والمؤمنين ، الاحداث التى وقعت فى ميلان حيث إجتمع عشرة اساقفة وقدموا للإمبراطور اتهاماً ضد أوكسنتيوس ، فقدم الاخير فى حضور الحاكم اعترافاً ايمانياً صحيحاً ، لكنه عاد فكتب الى الامبراطور ڤالنتينيان *Valentinian* وقدم له تقريره الخاص عن الوقائع التى حدثت مع إعتراف ايمانى جديد ردد فيه الصيغة التى وضعها مجمع ريمينى ، ولأن الامبراطور كان يتبع سياسة الحياد فى الخلافات الدينية ، لذا لم يجد فى الاتهامات الموجهة الى اوكسنتيوس اى سبب يجعله يتدخل ، فأمر الاساقفة العشر بترك ميلان ، ويؤكد هيلارى بصفة خاصة على نفاق وإزدواجية اوكسنتيوس ولهذا السبب يقدم نسخة من رسائله الى الامبراطور ڤالنتينيان .

٥) شذرات تاريخية *Fragmenta Historica*

يتضمن هذا العمل مجموعة من الوثائق التى كتبها القديس هيلارى وتخص الجدال الاريوسى ، وهو ينقسم الى ثلاثة اقسام :

الأول : يتضمن ـ بجانب المقدمة ـ وثائق عديدة بخصوص مجمع سرديكا سنة ٣٤٣ والسنوات التالية ، ومرفق بالوثائق تعليق شامل كتبه هيلارى [٢] .

وقد أعد هيلارى هذا القسم الذى يتضمن ايضاً رسالته الاولى الى قسطنطيوس سنة ٣٥٦ فى الفترة ما بين مجمع بيزيبه وبين رحيله الى المنفى .

الثانى : يتضمن وثائق وملاحظات فى شكل تعليق بخصوص مجمع ريمينى ، بجانب خطابات عديدة كتبها البابا ليبريوس *Liberius* [٣] .

الثالث : عبارة عن رسائل ووثائق من بعد عام ٣٥٩ ، بعضها بخصوص القرارات التى ستُتخذ فى قضية الاساقفة الذين وقعوا على صيغة مجمع ريمينى ، والبعض الآخر بخصوص الخلافات بين بعض الاساقفة [٤] .

ولابد أن نؤكد على الاهمية القصوى لهذه الشذرات من أجل معرفة ظروف وتطورات الجدال الأريوسى ، فمنها نعرف الكثير عن وثائق قيمة لم نكن لنعرفها إلا من خلالها ، مثل الرسائل التى يوافق فيها ليبريوس المنفى على التوقيع على ادانة القديس اثناسيوس ، فهذه الشذرات هى توثيق أساسى لمعرفة تاريخ الجدال الاريوسى فى الغرب فى الفترة ما بين ٣٤٣ و ٣٦٦م .

✝ ✝ ✝

(٣) الاعمال التفسيرية

لدينا ثلاثة كتب تفسيرية للقديس هيلارى :

تفسير لانجيل متى .

تفسير لسفر المزامير .

وكتاب عن الاسرار .

ويرى *Manlio Simonetti* إن تفسير متى كُتب قبل النفى سنة ٣٥٦ ، أما العملان الأخران فقد كُتبا بعد العودة من المنفى ، ويعتبر القديس هيلارى من الآباء المفسرين والشارحين للكتاب المقدس ، معتبراً أن المهم ليس أن نقرأه بل أن نفهمه ...

١) تفسير إنجيل متى

هو عمل مختصر يسجل فيه القديس هيلارى الأحداث الرئيسية فى انجيل معلمنا متى البشير ، ويضيف اليها أحياناً بعض التعليقات .

ويفضل هيلارى المنهج الرمزى فى التفسير ، والمعنى الحرفى والمعنى الرمزى عنده مرتبطتان تماماً ، فالمعنى الحرفى يجذب

الانتباه الى المعنى الروحى الرمزى ، والمعنى الرمزى يوجد فى المعنى الحرفى ، وأراد القديس هيلارى أن يشرح بوضوح رسالة الانجيل الروحية ، لذا اتبع المنهج التقليدى فى إعطاء معنى رمزى للأرقام والحيوانات ، ومن بين هذه الرموز التقليدية التى استخدمها ، كان الفلك الرمز الدائم للكنيسة [٥] ، والبرية رمزاً للحاجة للنعمة الالهية [٦] .

ويرى القديس هيلارى ان هيرودس الذى امر بقتل البار [٧] هو رمز لعداوة اليهود للمسيح وللكنيسة ، والمصباح الذى تحت المكيال [مت ١٥:٥] يرمز للمجمع اليهودى [٨] وقصة أم يسوع وأخوته [مت ٤٦:١٢] هى رمز لعجز الناس عن الإقتراب من المسيح [٩] ، وشفاء المرضى رمز لدعوة الأمم (ابن الكنعانية - المفلوج - عبد قائد المئة) .

يرى فى العرس الملوكى الذى ارسل فيه الملك ليدعو عبيده المدعوين ، أن العبيد الاولين هم الرسل الذين جاءوا يعلنون لليهود العرس الذى تحدث عنه انبياؤهم لكنهم رفضوا وجاء تلاميذهم يكررون الدعوى ، وما فعله السيد مع اليهود يفعله معنا ، فهو لا يمل من إرسال عبيد لدعوتنا لهذا العرس بكل

طريقة لنقبله عاملاً فينا ، يدعونا خلال خدامه وإنجيله والاحداث المحيطة بنا ، ويتكلم بروحه فينا ، أما عن ثمن العرس الذى دفعه العريس «هوذا غذائى اعددته ، ثيرانى ومسمناتى قد ذُبحت وكل شىء معد» فالثيران ترمز للشهداء الممجدين الذين شهدوا مقدمين حياتهم ذبائح مختارة ، والمسمنات تشير الى الروحيين الذين ينتعشون بالخبز السماوى ليحلقوا كالطيور فيقدمون كشبع للآخرين من الدسم الذى أكلوه ، فقدم الشهداء حياتهم ثمناً والروحيون جهادهم الدسم رصيداً للأجيال كلها .

ويرى فى تحويل الماء الى خمر أن ذلك الخمر الجديد لم تكن مزيجاً ، بل خليقة جديدة ، سلاسة المياه اختفت وطعم الخمر قد ظهر .

ويرى القديس هيلارى ان الاباء الرسل ملح للأرض ومبشرون بالأمور السماوية وزُرّاع عالم الابدية ينشرون بذار الخلود بزرع كلمة الانجيل حافظين الكنيسة بتعليمهم الانجيلى كما بنوع من التمليح السماوى .

يرى أن الثلاثة تلاميذ الذين صعدوا مع الرب على جبل التجلى يشيرون الى البشرية كلها ، كل الأمم التى جاءت كنسل

لسام وحام ويافث ، وصار لها حق الصعود مع السيد لتتمتع بتجليه .

ويرى ان المرأة التى أخذت أكيال الدقيق هى المجمع اليهودى الذى حكم على السيد المسيح (الخميرة) بالدفن ، فقام السيد واهباً للدقيق اختماراً «الحياة المقامة» أما رقم ثلاثة هنا فيشير الى الناموس والانبياء والانجيل (٣ اكيال دقيق) ففى المسيح يسوع يظهر الثلاثة عجيناً واحداً .

٢) تفسير المزامير

يقول چيروم (١٠) : «وضع تفاسير على المزامير تشمل المزمور الاول والثانى ، ومن الخمسين الاولى الى الستين بعدها ، ومن المئة والثامن عشر الى نهاية السفر» لكن العمل الذى وصلنا هو أشمل وأكبر مما ذكر چيروم ، اذ انه يتضمن ايضاً تفسير للمزامير ٩ ، ١٣ ، ١٤ ، ٦٣:٦٩ ، ٩١ ، وقد كتبه بعد عودته من المنفى وكان متأثراً فيه بأوريجانوس ونقل عنه الكثير إلا أنه ـ بحسب شهادة چيروم ـ أضاف ايضاً بعض الاضافات القيمة .

وقد أخذ القديس هيلارى من اوريجانوس الصورة المجازية

التى تختم مقدمة تفسيره للمزامير ، فيشبه سفر المزامير بمدينة عظيمة وجميلة فيها بيوت كثيرة ، وكل منزل يُفتح بمفتاح مختلف ، وكل المفاتيح موضوعة معاً ، ومن الضرورى أن يطلب المفسر بحسب مقدرته ، المفتاح الذى يناسب كل منزل اى الموضوع الاساسى ، والذى يختلف من مزمور لآخر .

٣) عن الاسرار *De Mysteriis*

وقد ذكره القديس چيروم ضمن القائمة التى أوردها فى كتابه «مشاهير الرجال» ، ونشره سنة ١٨٨٧ العالم *B. Gamurrini* الذى اكتشفه فى مخطوطة من *Arezzo* ، وفى المقدمة يشرح القديس هيلارى أن الكتاب المقدس كله يعلن تجسد المسيح سواء بالاعمال او بالكلمات ، ولابد من استخدام المنهج الرمزى فى تفسير العهد القديم ، فقد كان نوم آدم رمزاً للمسيح ، وكذلك طوفان نوح ، بركة ملكى صاداق ، تبرير ابراهيم ، ميلاد اسحق ، والاحداث المذكورة هى احداث حقيقية ، لكن الله يعمل بالانسان حتى تشابه الاعمال البشرية الخطة الالهية ، أى أن ترمز كل هذه الاحداث لحقيقة التجسد وتدبير الخلاص (١١) .

ثم يقدم القديس هيلارى بعض أحداث العهد القديم ذات

التفسيرات الخريستولوجية ، ويفسرها متبعاً المنهج الرمزى ، فآدم وحواء يرمزان للمسيح والكنيسة ، قايين وهابيل رمز لآلام المسيح ، يشوع رمز للمسيح وراحاب رمز للكنيسة ... وإن كانت هذه كلها رمزيات تقليدية ، إلا أن القديس هيلارى له إضافاته ، مثل تفسيره لحواء كرمز لقيامة الجسد ، ويستخلص ذلك من العلاقة بين عظام آدم التى جُبلت منها حواء وبين حقل العظام المذكور فى سفر حزقيال {٣٧ : ٤} (١٢) .

وهذه المنهجية التى تستخلص الرمزية من العلاقة بين الاصحاح الذى يُفسر وبين اصحاح آخر يشترك معه فى بعض التفاصيل هى منهجية أوريجانية ، كما يتضح أثر أوريجين أيضاً في إتجاهات رمزية أخرى ، مثل التفسير الرمزى المؤسس على الأصول اللغوية والأسماء العبرية .

✝ ✝ ✝

(٤) التسابيح

يُعد هيلارى أول كاتب غربى شُهد لنشاطه فى كتابة التسابيح ، وچيروم (١٣) ينسب «عن التسابيح» الى القديس هيلارى ، ومن هذا العمل وصلتنا ثلاثة قصائد فى المخطوطة التى تحوى «عن الاسرار» .

الأولى : تتحدث عن موضوعات ثالوثية خاصة علاقة السيد المسيح بالآب .

الثانية : هى فى الغالب مكتوبة على لسان النفس البشرية التى تولد للحياة المسيحية بالمعمودية ، وهى تتغنى بإنتصار المسيح على الموت ، وتعبر عن رجاء القيامة فى الحياة الابدية .

الثالثة : تتحدث عن تجربة المسيح بعد أن تصف سيادة الشيطان على العالم .

ونجد أن كتابات القديس هيلارى الشعرية متصلة هى أيضاً بالجدال الاريوسى ، إذ أنه قرأ أثناء اقامته فى الشرق القصائد التى كان الهراطقة والارثوذكس ينشرونها ، كلٌ لتدعيم موقفه

ومقاومة الآخر ، وعندما عاد الى الغرب حيث لم تكن تستخدم الا التسابيح الكتابية ، فكر القديس هيلارى فى إستعمال القصائد والأشعار لنشر التعليم المستقيم ، لذلك نجد فى تسابيحه خط عقيدى ولاهوتى واضح .

ويعتبر القديس هيلارى أول مؤلف رسمى للألحان اللاتينية وواضع اسسها بحسب رواية القديس چيروم ، ولا تزال بعض الألحان المشهورة تنسب اليه ولا تزال الكنيسة اللاتينية تذكره عندما تسبح تسبحة الصباح الجماعية *Lucis Largitor Splendide* وكذلك تسبحة العنصرة *Beata Nobis Guadia* .

(٥) الأعمال المفقودة

ذكر چيروم عملين للقديس هيلارى :

كتاب «لنصل الى الكمال» أو «ضد ديسقورس» (وقد فُقد) ،

عمل تفسيرى عن يعقوب يعتمد فيه على اوريجانوس ، (لم تصلنا منه إلا شذرات ضئيلة جداً) .

الفكر اللاهوتى
للقديس هيلارى

كمعاصر للقديس أثناسيوس الرسولى ومؤيد للتعليم النيقاوى المستقيم ، طور القديس هيلارى لاهوتا ثالوثياً معتمداً كلية على الحقائق والتعاليم الكتابية الانجيلية ، إذ أنه يعتبر أن اللاهوت الصحيح يصلنا عن طريق الله وحده ، وأعظم وأسمى وسيلة للمعرفة اللاهوتية هى الكتاب المقدس كما تفسره الكنيسة

وتحدث القديس هيلارى عن المسيح اللوغوس والحكمة وقوة الله [١] ، مهتماً بأن يؤكد على أقنوم الكلمة الالهى من أجل مقاومة بدعة المونارخيين [٢] ، كذلك يؤكد على أن المسيح هو صورة الله الحية الحقيقية [٣] ، غير محدودة وغير جسدية وغير منظورة [٤] ، لانه بكر كل خليقة [كو١:١٥] اى انه يعلن الآب، ومن الناحية الاخرى ، لا يتحدث الا نادراً عن المسيح النور ، وهو الموضوع الاساسى فى لاهوت اثناسيوس [٥] .

ويؤكد القديس هيلارى بصفة خاصة على الاسماء «الآب»

و«الابن» ، ويرى ان الاسماء : اللوغوس ، الحكمة ، الايقونة الخ انما هى اقل من الاسم «الابن» (٦) ، وهو مقتنع تماماً بان اسم المادة يعلن طبيعتها (٧) ، وهكذا اسماء «الآب» و «الابن» هى كافية فى ذاتها لاعلان طبيعة الاقانيم الالهية .

وفكر القديس هيلارى الثالوثى مؤسس على معرفة ودراية عميقة بالكتاب المقدس ، فنعمة الروح القدس هى نعمة الحكمة الدائمة المترفقة التى للثالوث المثلث الاشعاعات فى الله الواحد ، وفى رده على القول الاريوسى بأن الآب وحده اله حقيقى (٨) ، يقدم هيلارى فى كتابه «عن الثالوث» مجموعة من البراهين والاثباتات من العهد القديم ، إذ وجد أن اللاهوت الحق مستمد من الكتاب المقدس فقط ، وأن المسيح هو نهاية كل فلسفة ونبوة وكل حكمة هى من الله ، واعتبر أن الإيمان بالمسيح ليس مجرد فكرة ، فطوبى لذاك الذى يُمدح لإدراكه وفهمه الذى يفوق الرؤيا بالعيون البشرية ، فلا يتطلع لما هو من الجسد واللحم ، إنما ينظر ابن الله خلال الاعلان له من الآب السماوى ... لذلك إستحق سمعان بطرس أن يكون أول من إعترف بلاهوت المسيح .

ويؤكد على الوحدة والتمايز فى الثالوث ، وهو يرى

اللوغوس عاملاً فى خلق الانسان والعالم ، إذ أنه يصنع مشيئة الآب ، والقول المذكور فى قصة الخلق «قال الله» و «خلق الله» يؤكد التمايز بين الآب (الذى يقول) والإبن (الذى يخلق) ، وصيغة الجمع المذكورة فى {تك ١ : ٢٦} «نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا» تدحض القول بأن الله هو أقنوم واحد كما قال سابليوس الهرطوقى (٩) .

وعندما يتحدث أثناسيوس الغرب عن ظهورات الله للآباء البطاركة فى العهد القديم يؤكد ـ من ناحية ـ على السمة الالهية الحقيقية للكلمة اللوغوس الذى ظهر لإبراهيم ويعقوب ، ومن الناحية الاخرى ، يؤكد على التمايز بين الآب والابن (١٠) معتمداً على العديد من النصوص الكتابية {باروخ٣:٣٦ ، اش٤٥:١٤ ، اش٤٣:١٠ ، هو١:٧} (١١) .

وفى الكتاب السادس والسابع ، يطور القديس هيلارى المناقشة حول التمايز بين الآب والابن معتمداً على العديد من شهادات العهد الجديد ، وهنا يعالج هيلارى اسقف بواتييه بصورة شاملة موضوع ميلاد الابن الذى لم يأت من آخر ولا من مادة سابقة الوجود كما لو كان يستمد بدايته من خلقة (١٢) ، بل هو

مولود من الآب [١٣] ميلاداً بلا إنفصال أو افتراق [١٤] ، ويميز بين بنوتنا نحن لله بالتبنى وبين بنوة الابن الطبيعية الفريدة له فيقول :

«المسيح هو ابن الله حسب الطبيعة اللائقة به وليس بمجرد الاسم ... نحن ابناء الله لكنه ليس إبناً مثلنا ، إذ هو ابن بالطبيعة وليس بالتبنى ، هو الابن بالحق لا بالإسم ، بالميلاد لا بالخلقة» [١٥] .

وهيلارى واضح تماماً فى تعليمه بأن ميلاد الإبن من الآب لا يعنى أى ترتيب زمنى فى الثالوث أو أن الابن لاحق للآب زمنياً فالابن أزلى ، وهو دوماً ابن لأنه وُلد ميلاداً غير زمنى يفوق أفهامنا وإدراكاتنا جميعاً [١٦] ، إذ أننا نحن المنغمسين فى الزمن ، لا يمكننا أن نفهم أو ندرك ذاك الذى هو أزلى غير زمنى [١٧] .

وكان اسقف بواتييه واعياً تماماً لأفكار الاريوسية القائلة بأن الابن أقل من الآب ، لذلك خصص الكتب الاربعة الأخيرة من «عن الثالوث» للرد على هذه الافكار ، وقد استخدم الاريوسيون

الآيات الإنجيلية التى تتحدث عن آلام المسيح وضعفه لكى يدعموا ويثبتوا عقيدتهم الهرطوقية ، فشرح هيلارى أن هذه الآيات إنما تشير الى ناسوت المسيح ، وهو يفسر عدم معرفة المسيح {مت ٢٤:٣٦} بأن ذلك من مقتضيات التدبير الالهى ، أى أن اتخذ كافة محدوديات الطبيعة الناسوتية التى إتحد بها [١٨] ، وآلام المسيح هى آلام ناسوته ، لكنه لم يتألم بجسده فقط بل وأيضاً بنفسه ، ويؤكد هيلارى على أن جسد المسيح جسد حقيقى وليس جسد سمائى [١٩] .

وشرح أن التمايز بين الاقانيم لا يعنى الانفصال بين الآب والابن [٢٠] ، وعلاقة الميلاد التى تربط بينهما تعلن وحدة الطبيعة الالهية التى لهما وفى نفس الوقت تمايزهما [٢١] ، ومع أن الابن اله حقيقى إلا أنه ليس الهاً ثانياً ولا يلغى وحدانية الله [٢٢] ، وكان الايمان بمساواة الابن للآب فى الجوهر واضحاً تماماً فى تعليم القديس هيلارى .

تميز بالتركيز إزاء الأريوسيين على بنوة المسيح الالهية ، إذ أن البشرية كلها كانت فى المسيح بواسطة ناسوته وأيضاً أن المسيح موجود الآن فى البشرية كلها ، فالطبيعة البشرية والجسد

القابل للفساد تغيرا وتحولا بهذا المجد الى هيئة أخرى وجوهر لا يزول .

فإتحدت الفكرتان أى إتحادنا بالمسيح وبنوة المسيح الالهية ، ونتج منهما تعبيرات من أقوى ما يمكن عن البنوة الالهية «التبنى فى المسيح يسوع» وعن دخول البشرية كلها فى بنوة المسيح الالهية ولكن بالنعمة أى بالتبنى .

يقول القديس هيلارى ان «ابن الله المولود من العذراء لم يكن (ابنين) ابن لله مع ابن للإنسان (وكأنهما ابنان) بل ابن الله صار هو بنفسه ابناً للإنسان ، وذلك لكى يجعل الانسان ابناً لله فيه . فقد أخذ فى نفسه الطبيعة الجسدية بشمولها (أى الجنس البشرى كله) وبذلك صار هو الكرمة الحقيقية وصار يحتوى فى نفسه كل الاغصان العتيدة ان تولد» .

ويقول ايضاً «الغصن الذى يثبت فى الكرمة تكون له حتماً طبيعة الكرمة الحقيقية» «هذه هى اسرار المشورة السمائية التى تحددت قبل انشاء العالم : كان ينبغى أن ابن الله الوحيد يصير انساناً بإرادته لكى يستوطن الانسان فى الله الى الأبد .... فقد

ولد الله ـ تجسد ـ فى الواقع لكى يأخذنا فى نفسه» .

كذلك تحدث القديس هيلارى عن الروح القدس مرات عديدة قائلاً «لا أستطيع أن أصف ذاك الذى لا أقدر على وصف آناته من أجلى» ، لكنه كان أكثر تركيزاً وإهتماماً بعلاقة الابن بالآب نظراً لظروف الهرطقات الآريوسية التى عاصرها ، وقد أكد على أن الروح القدس هو عطية من الله ومن المسيح لكى يعلن بهذا وحدة الأقانيم الثلاثة فى الجوهر الواحد .

ويستخدم القديس هيلارى كلمات المزمور ٦٩ ليعلمنا أن ربنا يسوع المسيح إحتمل آلامه الخلاصية بإرادته وبمسرة صلاحه : «أنت عرفت عارى وخزى وخجلى ، قدامك جميع مضايقى ، العار قد كسر قلبى فمرضت» {مز٦٩ : ٢٠-٢١} .

شرح هيلارى أن هذا الاعتراف لا يختلف عن الذى سبقه حينما قال «يا الله انت عرفت حماقتى وذنوبى عنك لم تخف» {٦٩:٦} ويؤكد هيلارى أن الله وحده كان يعلم أن مخلصنا إتخذ هذا الضعف بإرادته ومشيئته وأنه ليس من طبيعته ، وإنما كان لابد أن يتألم ويحتمل هذه الآلامات بسبب العداوة ، كى يهب الانسان خلاصاً وحياة ابدية ، ويرى هيلارى في الآية «العار قد

كسر قلبى فمرضت» شهادة من ربنا يسوع على التدبير المسبق لهذه الآلام مشيراً الى أنه كان يشتاق لآلام ذلك الوقت بحسب سر الشركة الإلهى «شهوة اشتهيت أن آكل هذا الفصح معكم قبل أن أتألم» {لو ١٥:٢٢} .

«إنتظرت رقة فلم تكن ومعزيين فلم أجد» ... يشرح اسقف بواتييه أن ما يطلبه مخلصنا وينتظره ليس مجرد معزى ، بل يطلب الايمان ، يطلب من يترك الناموس ويفهم النبوات التى تحدثت عن جميع هذه الآلام ، ويقف معه في تكميل الناموس نفسه ، وهذا ما فعله القديس بولس الرسول حينما أكمل نقائص شدائد المسيح {كو ٢٤:١} ويقول هيلارى أن بولس دُفن مع المسيح فى المعمودية وعرف انه هو غاية وتحقيق وكمال الناموس لأن ذاك الذى هو نهاية وغاية الناموس قد بُذل من أجل تحقيق النبوات والآلام البشرية .

«يجعلون فى طعامى علقماً وفى عطشى يسقوننى خلاً» .. يؤكد اثناسيوس الغرب أن هذه النبوات قد تحققت جميعاً في مخلصنا الصالح ، فالاناجيل تشهد انهم أعطوه مراً وسقوه خلاً حينما عطش ، وبحسب متي الانجيلى {مت ٣٤:٢٧} عندما

أعطوه خلاً ممزوجاً بمرارة لم يرد أن يشرب ، لكن بحسب يوحنا الحبيب كان عطشاناً للخل لأنه مكتوب «بعد هذا رأى يسوع أن كل شيء قد كمُل ، فلكي يتم الكتاب قال أنا عطشان ، وكان اناء موضوعاً مملوء خلاً ، فملأوا اسفنجة من الخل ووضعوها على زوفا وقدموها الي فمه ، فلما أخذ يسوع الخل قال قد أكمل» {يو٣٠-٢٨:١٩}

ويرى هيلارى في قول المرنم «انتظرت رقة فلم تكن ومعزيين فلم أجد» أن ربنا لم يكن يريد من يعزيه في آلامه أو يبكيه ، بل كان يطلب من يبكى علي الشعب الجاهل الشرير ، يريد من يعزيه بخلاص من يحزن معه ... وهكذا ضُرب الرب وحمل آثامنا وتألم لأجلنا ، ضُرب وأهين حتى ضعف الصليب والموت ، كي ننال الشفاء بقيامته من الاموات ، وقد شهد هو نفسه لضرباته هذه عندما ذكّر تلاميذه بالنبوة «اضرب الراعي فتتبدد خراف الرعية» {مت ٣١:٢٦ ، زك ٧:١٣} .

وبولس الرسول أكد نفس المعنى عندما قال «الذى (أى الله الآب) لم يشفق علي ابنه» {رو ٣٢:٨} بل سلمه الي الكرامين عندما علم انهم سيقتلونه {قارن مت ٣٧:٢١} ويربط هيلارى

قول بولس الرسول هذا بتدبير الله مع آدم الأول ، فيشرح ان الله لم يشفق علي آدم الأول ، إذ أنه بعد أن سقط في الخطية طرده من الفردوس لئلا يلمس شجرة الفردوس فيظل في ألم أبدى (أى لئلا يأكل من شجرة الحياة فيبقى إلى الأبد في فساد) ، لذلك إتخذ آدم الثانى الآتى من السماء طبيعة جسده وخضع لنفس الموت لكي يعيد هذه الطبيعة ثانية الي الحياة الأبدية لكن بدون ألم أبدى .

وقد إعترف كل معاصرى هيلارى وخلفائه فى الغرب بنبوغ فكره اللاهوتى وقوته ، إذ كان اول من شرح الفكر اللاهوتى بطريقة شاملة معتمداً على الكتاب المقدس والتقليد واضعاً فى ذهنه الافكار والتعاليم الأريوسية لكى يدحضها .

فقدم المعرفة الالهية	Θεῖα
اللاهوتية	´Ενθεοσ
المقدسة	᾽Αγία
الرؤيوية	Θεωρητική
الحقيقية	᾽Αληθήσ
الغير كاذبة	᾽Αψενδήσ

وليس تلك المعرفة الزائفة Ψευδήσ γνῶσισ الجسدانية التى بحسب الفكر البشرى .

ونوجز لاهوت القديس هيلارى ومنهجه اللاهوتى فى خاصيتين :

الخاصية الاولى : الثالوثية ، فكتب كتاب الثالوث .

الخاصية الثانية : الذكصولوجية ، فكتب التسابيح .

فمعرفة ربنا ينتج عنها التسبيح والتمجيد ، واللاهوتى هو المرنم والمسبح .

الكنيسة فى فكر القديس هيلارى

(اللاهوت الاكليسيولوجى)

يرى القديس هيلارى اسقف بواتييه ان الكنيسة هى وحدة المؤمنين المتناغمة المتجانسة ، وأن الكنيسة عروس المسيح وجسده السرى ، وهى أيضاً الفم الذى يتحدث به المسيح الى الناس ، واعتبر أن مدينة الله هى الشعب المؤمن والمسيح دخل اليهم بواسطة السفينة أى خلال الكنيسة .

ويرى ان الكنيسة التى أسسها المسيح ثم الرسل هى كنيسة واحدة تعلم الحق فى سلطان وحدتها ، هى وحدة الجسد المتكامل وليست وحدة الاجساد المتناثرة ، هى تلك الوحدة التى تتأسس على الايمان الواحد ورابطة الحب وإجماع وإتفاق الارادة والفعل .

ولأنه تأثر بآباء الشرق يعتبر أن المسيح نفسه هو الكنيسة ، يحتويها كلها فى نفسه من خلال سر تجسده ، ومن ثم فجميع المؤمنين محتوون فيه ، وهى وحدة حقيقية تأسست على الحياة الجديدة الممنوحة فى المعمودية حيث الجميع قد لبسوا المسيح

الواحد الغير منقسم ، ويقينية هذه الوحدة يضمنها ويؤمنها سر الافخارستيا ، الذى به يُصان إندماج المسيحى فى جسد المسيح ويترسخ متأصلاً .

وأكد هيلارى على ضرورة التمسك بالتقليد الرسولى المُسلّم فى الكنيسة ، فيقول : «يجب ان لا نبتعد عن قانون الايمان المُسلّم ... ولن نترك الايمان الذى استلمناه عن طريق الانبياء من الله الآب ، بالابن ربنا وبفضل تعليم الروح القدس ، فى الاناجيل وفى كتابات الرسل ، الايمان الذى اقره تقليد الاباء ، متبعين التسلسل الرسولى الى أن تمت صياغته فى نيقية وكُتب ضد البدعة التى قامت فى ذلك الوقت ، وستبقى هذه الصيغة .

ونحن نؤمن أنه يجب أن لا يُضاف اى شىء آخر الى هذا ، ولا يمكن بالطبع أن يُنقص منه شىء ، إذ أننا لا نريد أن نقدم أية ابتداعات أو استحداثات ، لان الكلمات المكتوبة على اذهاننا من صفحات عديدة من الاسفار المقدسة ، وايضاً حقيقة المضمون (اى مضمون هذه الصفحات) يجب ان تظل ثابتة راسخة ، والكنيسة الجامعة لم تكف عن الإقرار والاعتراف بهذه الحقيقة فى اتفاق مع التعليم الالهى» .

الأسرار فى فكر القديس هيلارى

(اللاهوت السرائرى)

يقول القديس هيلارى :

«لأن الرجاء واحد ، والله واحد والرب واحد ، ومعمودية التجديد واحدة ، فإن كان هؤلاء فى وحدة ارادة لأنهم مولودون من جديد فى طبيعة حياة واحدة وأبدية واحدة فهم لهذا ايضاً واحد فى القلب والنفس ، واحد فى الفكر والاتفاق» .

ويؤكد اسقف بواتييه القديس على أن المسيح يقدم الدليل على طبيعة حياتنا فيه من خلال سر الجسد المقدس والدم الكريم وذلك بقوله : «لأنى أنا فى أبى وأنتم فىّ وأنا فيكم» {يو١٤:١٩} فربنا يسوع المسيح يريدنا أن نؤمن انه فى الآب بالطبيعة لأنه الله ، بينما نحن فيه بسبب تجسده ، وهو فينا من خلال الافخارستيا ، وهكذا تصير لنا شركة مع الآب القدوس بإبنه القدوس .

أما عن المعمودية فيشرح القديس هيلارى الغنى والفرح

العظيم الذى يُعطى لنا بهذا السر الذى للميلاد الجديد ، إذ به يصير لنا معرفة الاسرار وفهم الكلمة وإدراك النبوة ويقين الرجاء .

✝ ✝ ✝

العذراء مريم فى فكر القديس هيلارى

(اللاهوت الماريولوچى)

أكد القديس هيلارى على دوام بتولية العذراء مريم :

كون ربنا يسوع المسيح قد حُبل به من الروح القدس ووُلد من العذراء مريم ، فهذا أمر معروف وواضح أنه كان تحقيقاً للنبوات التى سبقت مجئ الرب ، ولكن عديداً من الناس قد يتسرعون ويسيئون الظن فيما يختص بدوام بتولية العذراء مريم بسبب عدم فهمهم لهذه العبارة : «قبل أن يجتمعا وُجدت حُبلى من الروح القدس» وأيضاً «لا تخف أن تأخذ إمرأتك» وكذلك «ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر» .

إن كل هذه الآيات لا يُراد بها إلا التنبيه على أنها كانت مخطوبة وعلى أن هذا الاستعلان الذى أوحى به ليوسف كان لانه اراد تخليتها ، فلكونه رجلاً باراً لم يرد أن يتصرف معها الا فى حدود مقتضى الشريعة ، ولكى لا يكون عنده اى ارتياب من جهة الميلاد البتولى ، إتُخذ هو نفسه شاهداً على ان المسيح قد

حُبل به بالروح القدس عندما كانت أمه لا تزال بعد مخطوبة ، قبل أن يتخذها له زوجة .

وبعد الولادة عرفها بمعنى انها دُعيت زوجة بحسب الشريعة (حتى تكون الام العذراء فى رعايته وحمايته الى أن يتم التدبير الالهى دونما شبهة) . لقد عرفته كزوجة ، إلا أنها لم تعاشره كزوجة {حز ٤٤ : ١} فهى لم تكن زوجة ليوسف قط بالمعنى الطبيعى ... وقد إستودع الرب أمه للرسول يوحنا لتكون بمثابة أمه فلم يكن لها أولاد .. دلالة ايضاً على دوام بتوليتها .

✝ ✝ ✝

الفكر الروحى للقديس هيلارى

(اللاهوت الروحي)

اعتبر القديس هيلارى ان الحصول على النعمة يعتمد كثيراً على اللجاجة فى الصلاة ، فالله لا يرضى ان ترتفع نحوه صلاة ليس بها روح المسالمة للجميع ، فالسلام البشرى يرقى الانسان للسلام الالهى ... ومحبة البشر تُرقى الى محبة الله .

وعن النقاوة الداخلية يقول : نحن مطالبون ان نتخلص ليس فقط من عيوبنا الشخصية ، بل ايضاً من تلك التى تلحقنا من الخارج ، فالعاطفة المؤذية تورث نار جهنم ، وقبول الاغراء يحول الشهوات المحرقة الى افعال ، وتكلم القديس هيلارى عن خطورة العاطفة لان الارادة اذا قبلت الاغراء تحول الميل الى الشهوات الحسية المحرمة الى فعل .

حث على الاهتمام بالمجد السماوى لانه ابدى لا يُختلس منه ولا تصيبه عوامل الفناء او التلف او الضياع ، ويرى ان القلب اما ان يكون فى السماء او فى الارض ، ونور البصيرة اما ان يكون

منكباً على المال علة الدمار او منشغلاً بالله وبالحياة الابدية ...

إعتبر ان الخضوع لسيدين هو خداع ، وأن العين النقية ترسم النور فى القلب وتملأ الكيان البشرى بأشعة النور الابدى ، ويرى أن الاهتمام بمباهج الحياة يسبب الخداع والقلق بسبب عدم الايمان .

ويحثنا القديس على أن نسمو بأفكارنا لكى نبلغ السماويات فالرب يدعونا ان نودع فى السماء كنزنا ، علينا أن (نطلب ونسعى ونقرع) لكى بالطلبة نؤهل لرأفة الله ، وبالسعى نسير قدماً الى الامام فى الطريق الروحى ، وبالقرع ينفتح أمامنا باب الرجاء ويقوى فينا .

ركز على أن التجديف على الروح هو الخطية الوحيدة التى لا تُغفر ، أما كل الخطايا الاخرى فالله قد وعد بمنح الصفح عنها ، حيث أن الخطية ضد الروح القدس هى رفض وعدم قبول سيادة الله وسلطانه وإنكار أزلية المسيح الجوهرية ، هذا الذى به وفيه أتى الله مستعلناً فى الانسان .

أكد على أن أفضل طريقة للتعليم فى الحياة الروحية هى بإعطاء المثل بالقدوة التى هى أحرى من الكلام ، واعتبر ان

الهذيذ فى الشريعة لا يعنى قراءة كلماتها أو تلاوتها ، ولكن يشمل تتميم أحكام الناموس بالتقوى ، ليس بمجرد القراءة ولكن فى هذيذ عملى وتدريب على كل واحدة منها وتتميم للوصية بالأعمال .

فلا شىء أثمن وأقدس من وصايا الله ووعوده التى تهبنا القداسة وتورثنا الحياة الابدية ، ولكننا لسنا أحراراً فى أن نبوح بأسرار حياتنا ومصدر قوتنا للذين لا يعرفون الله ولا حتى أن نناقش ذلك مع المنحرفين عن الايمان الصحيح .

وتكلم القديس هيلارى عن الحروب الروحية ذاكراً أن تجارب الشيطان تواجه بالاكثر الذين تقدسوا ، لأنه يشتاق بالأكثر أن ينال نصرة على الابرار ، وان الذين يترجون جمال الثوب السمائى يكونون فى بهاء الملائكة ، أما من كانت أجسادهم منحلة وهالكة بالخلاعة ، فإنما هم مساكن للشياطين التى تختارها كسكنى لها تناسب تدابيرها وأعمالها الشريرة .

يوصى القديس هيلارى بسماع كلمات المسيح الازلية التى تحمل داخلها البقاء الدائم ، محذراً من صقيع الخطية واللامبالاة

من جهة الاعمال الصالحة وعقابها الخطير ، ثم ينادى بضرورة أن نرد لله ما هو له ، أى نقدم له الجسد والنفس والارادة ، فعملة قيصر من الذهب وعليها ختم صورته ، وعملة الله عليها صورته ، لنعطى المال لقيصر ولنحتفظ بالضمير الذى بلا عيب لله .

متمنياً أن لا نكون مدينين للشيطان أو للخطية حتى لا نلتزم له مضاعفاً وإنما نكون مدينين لله بكل عطاياه المجانية ومحبته فنقدم له حياتنا وحبنا .

ونرى فكر هيلارى الروحى فى أوضح صوره فى تفسيراته للمزامير ، وهنا يجب أن لا يغيب عن أذهاننا أنه كان أول الآباء الغربيين فى كتابة تفسير منهجى لسفر المزامير ، فمثلاً فى تفسيره للمزمور ١١٩ ، ينصح هيلارى قارئيه أن يتطلعوا الى رجاء الحياة الابدية والدهر الآتى كى يجدوا تعزية فى الضيقات والاهانات التى تصيبهم .

ويشرح اسقف بواتييه فى تفسيره لهذا المزمور ان كلمة الله المكتوبة فى الاسفار المقدسة تدعونا كلها لكى نجعل رجاءنا فى بركات السماء ، لذلك يقول النبى بلا إنقطاع «اذكر لعبدك

كلامك» والله بالتأكيد لا ينسى وعده ، ويحذرنا هيلارى اللاهوتى التقليدى البارع من أن نظن أن أنماط الضعف البشرى يمكن أن تلحق بالقدرة الالهية الابدية التى لا تبلى ، لكن النبى الذى يثق فى مواعيد الله ، الذى كان مشغولاً مسبقاً بالامور السماوية ، والذى إزدرى بالحاضر واضعاً رجاءه فى المستقبل ، لا يدعو الله الى تذكر كلمته ، لكنه يتوسل الى الله ان يكون ذاكراً لكلمته لأنها تؤثر على عبده ، وبمعنى آخر ، هو يصلى لكى يوجد مستحق أن الله يتنازل ويكون ذاكراً لكلمته فيما يخصه هو عبده لأنه على هذا القول وضع رجاءه .

ثم يشرح القديس المجاهد الذى خبر دروب الحياة الروحية أن هذا الرجاء يجب أن لا يكون معلناً بالكلام فقط ، بل يجب أن يُظهر بالاعمال ، لذلك إن أصابنا مرض او إضطهاد أو خسارة أو إهانة ، نتعزّى فى تهديدات وظلم الزمان الحاضر برجاء المواعيد الالهية .

ويستشهد هيلارى بقول المرنم «هذه هى تعزيتى فى مذلتى لأن قولك أحيانى» {مز١١٩ : ٥٠} ليدلل على أن النبى اختبر كل ما قاله فعلاً ، وعلى أن هذه التعزية هى تلك التى غرسها الله

فيه ، وقد عزته فى «مذلته» أى عندما يُزدرى به أو يُسخر منه أو يتألم من الظلم أو عندما يُهان بالشتائم ، لأنه يعرف أنه يتجند عن طريق التجارب والضيقات الحاضرة ، لكن الرجاء والتعزية التى يهبها الله تعزيه وتسنده فى هذه الحروب التى يحتملها فى ضعفه ، ويُعطى حياة من قول الله ، وهنا يؤكد هيلارى ان النبى يعرف أن مجد ضعفه عظيم فى السموات ، ويعرف أن نفسه التى تجددت بكلمة الله ، تحوى فيها غذاء الحياة الابدية ، إذ هو يحيا بأقوال الله ، ولا ينزعج بالشهوة الباطلة التى للمتكبر لأنه يعرف أن إحتياجه أغنى من ثرائهم ، يعرف أن صومه يُطعم ويتغذى بفيضٍ من بركات السماء والانجيل ، وأن إتضاعه سيُكافأ بجُعالة مجيدة من الكرامة ، لذلك أضاف «المتكبرون استهزئوا بىّ الى الغاية ، عن شريعتك لم أمل» .

وفى تفسيره للمزمور ١٥ «يارب من ينزل فى مسكنك» يجمل ويدمج اسقف بواتييه التعاليم الاخلاقية فى العهدين القديم والجديد ، ويعتبر هذا المزمور وصية عملية قصيرة ، يمكن أن يُحفظ ويُقال فى أى مكان «فى البيت وفى الخارج ، جماعياً وإنفرادياً ، نهاراً وليلاً» .

ولأن المزمور ١٥ يصف الانسان الذى يسير بلا دنس والعامل بالعدل لذا يرى فيه هيلارى دعوة لكل ما يحتاجه الانسان فى صعوده الدائم إلى الله ، وبالرغم من إختصاره ، إلا أنه ملىء بالمفاهيم الغنية واللامحدودة التى للعهدين القديم والجديد النافعة للأطفال كما للناضجين أيضاً .

«من يسكن فى بل قدسك» ... وجبل الرب عند هيلارى هو ربنا يسوع المسيح الذى اتخذ جسداً وصار انساناً ، وعلى هذا الجبل بُنيت المدينة التى هى الكنيسة جسده ، والتى اليها ينتسب هؤلاء الذين أختيروا فى جسده قبل تأسيس العالم .

ويؤكد القديس أن الانسان الذى سيسكن فى مسكن الرب هو الذى يدخله بنقاوة ويحيا مرتفعاً فوق كل دنس الخطية ... هو ذاك الذى لا يقربه أى فساد ، بل هو طاهر بهى ، جسده غير مدنس ، وعيناه غير مضطربتين بالمشاهد المسرحية ، وذهنه غير مظلم بالخمر ، وحياته ليست عبداً للمال ... ذاك هو الانسان الذى يحل فى جبل قدس الرب ، ويسكن فى مسكنه .

ولكى يتمم الانسان العمل الذى يطلبه العدل الالهى ، يجب

أن لا يكون الصلاح موضع تأمل فقط ، بل يجب أن يكون موضوع عمل الانسان وجهاده ، لأن الصلاح يجب أن لا يُبدأ فقط بل أن يُكمّل .

وفى حنكة روحية ، يشرح هيلارى أن هذا أيضاً ليس كافياً لأن الأمم تفعل هذه الأمور بإبتعادها عن الاثم كى يكونوا حَسَنِى السمعة ، ومميزاً مع القديس بولس الرسول بين الانسان الجسدانى والانسان الروحى ، يصف هيلارى الانسان الجسدانى بأنه عبد لرغبات وأهواء الجسد ... أما الانسان الروحى فيسلك بحسب معرفة الله ، متبعاً وصايا الرب والحكمة العلوية المخفية عن العالم ، تلك التى يمكن معرفتها عن طريق الاستعلان وعطية الروح القدس ، أى سبب تجسد الله الكلمة ، وإنتصاره على الموت ، وغلبة الموت بقيامته المقدسة .

والانسان الروحى بحسب هيلارى لابد أن يتحد بربنا يسوع المسيح الذى هو الحق المطلق ، لأن كثيرين يتعبون أجسادهم بالأصوام ، ويشهدون لثباتهم بتوزيع ممتلكاتهم على الفقراء ، ولعفتهم بحفظ البتولية ، ولكن ما لم يكونوا مؤمنين بالمسيح فى ملء ألوهيته ، فهم غير كاملين ، ولكن يجب أن لا يعترفوا بربنا يسوع المسيح كما هو حقاً فقط ، بل لابد أن يخضعوا الى متطلبات الحق فى حياتهم اليومية .

وينبه هيلارى الى أن الانسان النقى القلب الذى يتبع الحق والعدل ، الذى لا يخدع نفسه والآخرين ، لابد أن يجاهد ويسعى للكمال ، وهذا يتطلب ضبط النفس ورفض وإماتة كل ميل بشرى نحو الكبرياء والعجب الباطل وتجربته الردية بشهوة الرئاسة والتسلط على الآخرين ، ويسمى هيلارى هذا الوجع «أكثر الصفات الانسانية تفاهة» لأنه يُفسد امكانية التوبة كما يُفقد الانسان امكانية التأثير الحقيقى على الآخرين ... ويرى أن مساعدة الآخرين على رؤية النور الحقيقى لا تكون بالقسوة أو الشدة ، بل برقة ووداعة .

ويؤكد هيلارى أن الشجاعة لابد أن يرافقها الاتضاع ، وبذا يمكن للإنسان أن يتمتع حقاً بحرية أولاد الله ، مواجهاً الشر والكوارث بلا جزع قلب .

ونختتم فكر القديس هيلارى بأن الصخر الذى ينبغى أن ينبنى عليه إيماننا وحياتنا الروحية هو الرب نفسه كأساس قوى لأسمى وأكبر بناء ، ، فمن يبنى حياته على الرب ، كانت حياته كبناية راسخة الاساس مرتفعة الى العلا لا تتزعزع ، سواء من الامطار (الميول الخادعة)ولا من السيول (الشهوات) ولا من الرياح(التجارب) ومن بنى أساسه على الصخر ، صخر الدهور ، يظل راسخاً .

المصادر والمراجع

السيرة:

1) Chron. II 42. 2) Chron. II 45. 3) Chron, 5, a.

كتاباته:

1) Jerome, De vir.ill. 100. 2) Frag. B I-II; A IV.
3) Ibid. B III, VII, VIII; A VI, VII, VIII, IX.
4) Ibid. B IV, V, VI; A I, II, III.
5) 8, 1; 13, 1. 6) 2, 2; 11, 4. 7) 1, 6.
8) 4, 3. 9) 12, 24. 10) De vir. ill. 100.
11) Ch. 32. 12) Ch. 5. 13) De Vir. ill. 100.

لاهوته:

1) Trin. VII 11, 27, IX 12, etc. 2) II 15; VII 11; Syn. 46.
3) Trin. VII 37. 4) Ibid. VIII 48, 49.
5) Ibid. VII 27. 6) Ibid. VII 11, 37; III 23.
7) Ibid.VI 44, VII 9. 8) Ibid.IV-V.
9) Ibid.IV 16- 18; V 5.
10) Ibid.IV 23, 24, 25; V 11, 20.
11) Ibid.IV 35 - 40; V 39.
12) Ibid.IV 13; VII. 14. 13) Ibid.VII 27, 31, 39.
14) Ibid.VI 35; VII 14, 27, 28, 29; V 37; VIII 56.
١٥) اللاهوت فى فكر الاباء ـ للمؤلف ـ سلسلة الاختوس ΙΧΘΥΣ ـ الطبعة الاولى سنة ١٩٩٠ ـ ص ١٧٩ ـ ١٨٠.
16) Trin. III 3; X 7; XII 15. 17) Ibid.XII 26, 27, 37, 38.
18) Ibid.IX 63, 66, 75. 19) Ibid.X 18, 23.
20) Ibid.III 14; V 11; VIII 38.
21) Ibid.VI 19; VII 21, 27, 31; IX 27, 36, 57.
22) Ibid.II 11; III 4; IV 15, 33.

الفهرس